الملتقى الوطني:

القصّة القصيرة جدّا في الوطن العربي بين القصصيةوالتّأويل.يوم 18 نوفمبر 2023.

الجهة المنظمة: المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف.

الدكتورة: حميدة قادوم ،الرتبة: أستاذة محاضرة أ.

مؤسسة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة.

البريد الإلكتروني gadoum.hamida@hotmail.fr:

عنوان المحور: دراسات نقدية في نماذج قصصية قصيرة جدّا.

عنوان المداخلة: جمالية البناء السردي في المجموعة القصصية "شُرفات الذّاكرة".

ملخص المداخلة: تمثل القصّة القصيرة جدّا لونا أدبيا جديدا بمواصفاته وخصائصه التي ينبني عليها حديثا، وإن كانت له ارهاصات وشذرات في أدبنا القديم على سبيل النّكتة والخبر والحدث واللّغز وغيرها إلاّ أنّها تتبوأ اليوم خطّا حداثيا مائزا أفرزته طبيعة التّحولات التي يعيشها المبدع اليوم، هذا من جهة، ونظرا لتسارع وتيرة الحياة المعاصرة من جهة أخرى.

وتحتاج كتابة القصّة القصيرة جدّا إلى قدرات إبداعية هائلة، وترسانة معرفية قوية بحدود التّأويل الممكنة، كونها تأتي موجزة عميقة مكتنزة لمعانيها، ولعل هذه الشروط التي تتطلبها القصّة القصيرة جدّا جعلت أكثر المبدعين يتنكرون لها باعتبارها لونا أدبيا مستقلا، ولكن البعض الآخر ممّن أجادوا كتابتها وعالجوا من خلالها قضايا اجتماعية وإنسانية كبرى أثبتوا قدرة هذا اللّون الأدبي على مزاحمة فنّ الرواية من ناحية العمق والسرد القصصي الذي يفضي إلى حكاية أو حدث معين، غير أن القصة القصيرة جدا تتميز بخصائص منفردة تجعلها تجريبا أدبيا معاصرا له أهميته، ومن تلك الخصائص؛ خاصية التكثيف والاكتناز والإيحاء والترميز وغيرها. بناء على ما تقدم تأتي هذه الدراسة للبحث في جمالية البناء السردي في القصة القصيرة جدّا، "شرفات الذاكرةّ لعبد القادر سفر الغامدي نموذجا.

الكلمات المفتاحية: القصّة القصيرة جدّا، البناء السردي، التّكثيف، المفارقة.

Summary: The very short story represents a new literary genre with its specifications and characteristics on which the novel is based. And if he has harbingers and fragments in our ancient literature, such as jokes, news, events, riddles, etc. Today, however, it occupies a

distinguished modernist line that was produced by the nature of the transformations that the creator is experiencing today. On the one hand, this is due to the accelerating pace of contemporary life on the other hand. Writing a very short story requires tremendous creative abilities and a strong arsenal of knowledge about the possible limits of interpretation. Being concise is deep chunky for its meanings , Perhaps these conditions required by the very short story made many creators disavow it as an independent literary genre. However . others who were proficient in writing and dealing with major social and human issues through it proved the ability of this literary color to compete with the art of the novel in terms of depth and storytelling that ranges between the real and the imaginary, as is the case in the collection of stories under study and tagged "Balconies of Memory" by the storyteller Abdul Qadir Safar Al-Ghamdi .

مقدمة:

يبدو الحديث عن القصة القصيرة جدا ضمن مختلف الأجناس الأدبية خاصة في العصر الراهن حديثا ذو شجون، نظرا لامتداد هذا النمط الأدبي في التاريخ العربي القديم غير إنه كان يعرف بمسميات أخرى كالنكتة والخبر واللغز والحدث وغيرها، هذا من جهة، ونظرا لقلة الاهتمام به من قبل النقاد والباحثين من جهة أخرى على عكس الرواية والمسرح والشعر، ولعل الرواية هي أكثر الأجناس الأدبية اهتماما في هذا العصر، ولذلك بقيت القصة القصيرة جدا في مساحات ضيقة يخشى الجميع الاقتراب منها ودراستها؛ نظرا لطبيعة السرد القصصي الذي تأتي على نمطه، وقد شكّل هذا التّردد في ولوج عالم القصة القصيرة جدا إشكاليات عدّة متعلقة بمدى شرعيتها كلون أدبي مستقل، فكيف يمكن أن نعرفها؟ وما عناصر بنائها السردي وما جمالياتها؟

1-التأصيل النّظري للقصة القصيرة جدّا وعلاقتها بالقصّة عموما:

لعله من المنطقي جدّا الانطلاق في تعريف القصة القصيرة جدّا من مكونات هذا المصطلح الذي أصبح الاهتمام به ضرورة تمليها طبيعة التّحولات الحاصلة في المجال الأدبي، وعلاقته بالقصة القصيرة؛ وقد اشتغل بعض الباحثين على قلّتهم في هذا المجال، بغية التّفريق بين القصّة القصيرة جدّا والقصة أو الأقصوصة، والحقيقة التي لا مناص منها هي أنّهما ينتميان إلى مصطلح قصة التي يعرّفها اللّغويون بأنّها" مشتقة من الفعل قصّ: قصص: تتبعه شيئا بعد شيء، القاص: اسم الفاعل ومن يأتي بالقصة والخطيب، ج. قصاص، والقصص: الخبر المقصوص والحدث المنقول" [1]

يبين المعنى اللّغوي علاقة القص بما يسمى السرد أو الحكي والاسترسال في تتبع الأثر والإخبار عنه. وهو ما عبّر عنه (ابن سيده) بقوله: "قصّ آثارهم يقصّها قصّا... وقصصها وتقصصها تتبعها باللّيل"[2]

والقصة القصيرة بلا شك انسلّت من رحم هذا المعنى وإن اختلف الغربيون في تعريفه اصطلاحيا، ومن التّعريفات ما عبّر عنه (أنريكي أندرسون إمبرت) في كتابه (القصّة القصيرة النّظرية والتّطبيق) بقوله:" القصّة القصيرة عبارة عن سرد نثري موجز يعتمد على خيال قصّاص فرد."[3] يركز (إمبرت) في تعريفه للقصّة على عنصري السرد والخيال الموجز المكثف، بينما يعرفها آخر بأنّها" مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدّة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق ص ص).

[2] - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ص101.

[3] - أنريكي أندرسون إمبرت، القصة القصيرة النظرية والتطبيق، ص52.

في الحياة على غرار ما تتباين حياة النّاس على وجه الأرض ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثر والتأثير."[4] ممّا يعني أنّ القصّة القصيرة تختص بعرض حادثة أو موضوعة واحدة واصفة لحياة شخصيات بعينها واختلافها وسلوكاتها، كما تركز القصة القصيرة على العرض الموجز والمكثف من خلال اللّغة الموظفة والشخصيات المستهدفة.

1-نشأة القصة القصيرة جدا في الغرب:

ويرجع تاريخ نشأة فنّ القصّة القصيرة إلى أواخر القرن التّاسع عشر في صيغتها الحداثية المعروفة، أمّا المحاولات الأولى لكتابة القصّة فتعود إلى القرن الرابع عشر، ولكنّها مجرد محاولات لكتابة قصص صغيرة الحجم، لا تتوفر فيها عناصر القصّة الحداثية، كما عرفت أوّل الأمر في روما" داخل حجرة فسيحة من حجرات قصر الفاتيكان، كانوا يطلقون عليها اسم "مصنع الأكاذيب" اعتاد أن يتردد عليها في المساء نفر من سكرتيري البابا وأصدقاؤهم للهو والتّسلية وتبادل الأخبار" [5]

وهكذا بدأت تنتج قصص نقل الأخبار من طرف رواد(مصنع الأكاذيب) إلا أن ظهر نوع من الكتابة القصصية البسيطة على يد رجل كان يرتاد كثيرا على المصنع بصفته سكرتيرا للبابا ؛ يدعى (بوتشيو) يعرض من خلالها نواده الطريفة بأسلوب بسيط وماتع لا يخلو من صفة الأدبية فسميت تلك الكتابة (الفاشيتيا) وأشهر قصة من قصص الفاشيتيا التي اشتهر بها (بوتشيو) هي قصة "انتقام الزوج" التي غير من خلالها نمط الكتابة المعتادة على توظيف الأبطال والحيوانات في القصة، تلتها بعد ذلك محاولة ثانية في إيطاليا ل(جيوفاني بوكاتيشو) صاحب "قصص الديكاميرون" الشهيرة، سماها(النوفلا)، وكانت أكثر طولا مقارنة مع الفاشيتيا ل(بوتيشو)، وأصبحت محل اهتمام الناس وأقبلوا عليها إقبالا أنساهم أمر الفاشيتيا، وظلّت القصّة القصيرة في إيطاليا على هذه الحال إلى أن ظهر(موباسان) في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر بنظرته الفريدة تجاه القصّة.

ويعتقد أنّه ليس من الضروري أن يتخيل الكاتب مواقف أو شخصيات غريبة ليخلق قصة ما بل على العكس يكفيه أن يصور أفرادا عاديين في مواقف عادية كي يفسّر الحياة تفسيرا سليما ويبرز ما فيها من معان خفية. [6]

كتب موباسان قصصه وفق هذه الرؤية التي افتتح بها مسار القصّة القصيرة الحديثة ليصبح رائدها؛ وسار على نهجه كبار القصاصين أمثال (أنتون تشكوف) و(أرنست

---

[4] -محمد يوسف نجم، فن القصة، ص09.

[5] -رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ص10.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص08.

همنجواي)، فالقصّة عند موباسان" تصور حديثا معينا لا يهتم الكاتب بما قبله أو ما بعده"[7] وهو الشكل الذي تقوم عليه القصة حاليا. وهكذا انتشرت القصّة القصيرة باعتبارها جنسا أدبيا حديثا ناتجا عن تطور مختلف أشكال السرد والحكي التي تعبّر عن الانسان، وبرزت أسماء لامعة ارتبطت بكتابة القصّة القصيرة أمثال: (إدجار آلان بو)، و(جوجول)، و(أنطون تشيخوف) وغيرهم.

2-القصة القصيرة جدّا عند العرب عناصرها ومكوناتها:

أمّا في العالم العربي فقد تأخر ظهور القصّة القصيرة بشكلها الحديث إلى بدايات القرن العشرين بتأثر من الأدباء الغربيين، وذلك على الرغم من وجود هذا النّمط من الكتابة السردية في المدونات العربية القديمة؛ "فلو قرأنا الكتب التراثية المخطوطة والمحققة والمطبوعة لوجدنا المئات من الأقاصيص(...) لرأينا أن كتب الجاحظ وخصوصا البخلاء ، وكتب التوحيدي وخصوصا الامتاع والمؤانسة وكتب مجمع الأمثال للهمذاني بأجزائه العديدة تزخر بالكثير من القصص القصيرة جدّا التي تتمثل باللغة الرشيقة المضغوطة المعبأة بالبلاغة وحسن الديباجة، وهي بمجمل نسيجها تقترب بحميمية من القصة القصيرة جدا، مصطلحا وماهية." [8]

ولعل ظهورها الرسمي بهذا المصطلح المقابل للمصطلح الأجنبي Very short story كان في المغرب في السبعينيات، حيث كتب الباحث عبد الرحيم مودن كتابه الموسوم (معجم مصطلحات القصة المغربية) مؤكدا على وجود قصص قصيرة جدا "تعتمد هذه النصوص على التكثيف والاختزال واللغة التلغرافية...وقد نشرت هذه القصص سنة 1974"[9] فظهرت أسماء مثل: العقاد، ومحمد تيمور، وطاهر لاشين، وزكريا تامر، نجيب محفوظ ومحمد زفزاف وغيرهم.

ونظرا لحداثة ظهورها لم يرد الاتفاق على تعريف موحّد لها من قبل النّقاد، فهي كجنس أدبي سردي ما تزال في طور التّجريب والتّطوير، ولعل هذا سبب آخر من أسباب قلّة الاهتمام بالقصّة القصيرة جدّا في الوطن العربي نقدا وتحليلا، مقارنة بفنّ الرواية التي اكتسحت المجال الأدبي.

---

[7] - المرجع نفسه، ص10.

[8] - هيثم بهنام بردي، القصة القصيرة جدا، الريادة العراقية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ج1، ط1، 2016، ص09.

[9] - راجع : عبد الرحمان مودن، معجم مصطلحات القصة المغربية، منشورات دراسات سال، ط1، 1993، ص40.

وإذا كان لابد من وضع تعريف قريب للقصّة القصيرة، فإنّ ذلك يكون بتتبع البناء الفنّي لها، إذ يقوم هذا الأخير "على بداية تشد القارئ ونهاية تترك الأثر والدّهشة في نفسه، وبين البداية والنّهاية؛ تقنيات يعمل عليها الكاتب لإكمال الرؤية التي يريد إيصالها مستخدما الأدوات التي تعمل على صنع نسيج قصصي متقن يترك البصمة والأثر."[10] ومن أجل الحفاظ على تلك الدهشة والحيرة المطلوبة في فنّ القصة، اتخذ الكّتاب مجال التّجريب القائم على الاتقان والإبداع من دون التّملص من الخصائص الفنية للقصة القصيرة.

فالقصة القصيرة جدا تتميز بعناصر خاصة تسهم في تشكّلها، وهذه العناصر لها جمالياتها الفنّية التي تصبغها على النّص القصصي" بدءا من الحجم الضيق أو الصغير كما أسلفنا، مرورا باللّغة الشعرية المكثفة، الدقيقة، الدّالة، التي لا تقبل أي حشو أو ترهل، وانتهاء بجملة القفلة (الخاتمة) التي تفضي إلى التأويل في متن هذه القصة." [11]

ولعل المقصود هنا بالحجم الضيق هو عدم تجاوزها خمسون كلمة كما اتفق على ذلك أغلب الباحثين، وهذا ما يجعلها من أحدث الفنون السردية والأكثر انتشارا، ويعتمد كذلك على تنامي الحدث ونمو الأفعال وفق لغة شعرية مكثفة مناسبة لنمط السرد، بحيث تتناول القصة القصيرة جدّا فكرة واحدة من وجهة معينة، يكون السرد فيها متسارعا معبّرا عن مشهد واحد دقيق، لذلك يصفها القاص (وليد اخلاصي) بأنّها كالسكين الحادّة، بينما شبهها (محمد الماغوط) بالبرقية التي تحمل نبأ، وهذا الاختلاف في تعريف القصة القصيرة جدا وضعها أما إشكالية التّجنيس، ومشروعية الإقرار بها كلون أدبي مستقل بذاته. وبناء على ذلك بدأ البحث في ضرورة تحديد عناصرها وشروط قيامها.

وقد حاول الباحث (يوسف حطيني) أن يمنحها تعريفا شاملا انطلاقا من خصائصها الفنّية، حيث تكون" الحكاية فيها مختصرة سهمية، والحدث يتجه رأسا ليواجه ظرفه المضاد، واللغة فاعلة لا تطمئن إلى الوصف الذي يجعل إيقاع السرد بطيئا، والزمن والمكان مجرد إشارات برقية، لأنّه عند ذلك سيتحول إلى ما يشبه الشخصية الرئيسية"[12]، وبناء على هذا التّوصيف يمكن تحديد أبرز عناصرها المحددة لجنسها.

1.2:الحكائية: يؤكد الباحث (يوسف حطيني) في إطار محاولته التنظير للقصة القصيرة جدا أن الحكائية شرط أساس في بنائها، وبالرغم من قصرها الشديد إلا أن الحكي ظاهرة صحية في الأجناس النثرية، وخاصة في القصة القصيرة جدا لأن غياب الحكاية

---

[10] -لبابة أمين الهواري، التجريب في القصة القصيرة "حيوانات أيامنا" لمحمد المخزنجي مثالا، مجلة الخطاب، مج17، ع2، جوان2022، ص258.

[11] - حسين المناصرة، القصة القصيرة جدا، رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2015، ص15.

[12] - يوسف حطيني، القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، نسخة إلكترونية مطابقة للأصل، ص25.

يفقدها أهم عناصرها، "ويحولها إلى خاطرة في أحسن الأحوال، فإذا استعرضنا بعض النّصوص التي تزعم الانتماء إلى هذا الفن وجدناها تضيع خطوط حكايتها، ولا تقدّم حدثا ولا تبني شخصية ولا تنسج حبكة تقود المقدمات فيها إلى الخواتيم أو الخواتيم إلى مقدمات، ممّا يجعل قصصهم أشبه بخاطرة لا ترقى في معظم الأحيان إلى الأدب الرفيع."[13] ويمكن التمثيل عن توفر عنصر الحكائية في القصة القصيرة جدّا عند (عبد القادر الغامدي) في نصه الموسوم (سقوط):

" كان هنا بعض انسان

سقط...

وبقى شبه جثمان."[14]

يعمد الكاتب في هذا النص المختزل إلى سرد قصة معاناة الانسان منذ ولادته وما يمكن أن يلاقيه من متاعب تجعله يحيا فاقدا أمتع الأشياء في حياته. فتوظيفه للفعل كان الذي ارتبط منذ الأزل بفعل الحكي يجعله نصا حكائيا واضحا، ثم تظهر الحبكة المعقدة التي عبّر عنها بقوله (سقط) وصولا إلى جملة القفلة في قوله (وبقي شبه جثمان) فهذا النص قصة مكتملة الأركان ومفتوحة على إمكانية التأويل المسهب.

-2.2التّكثيف:

وهو أهم ما تنبني عليه القصة القصيرة جدّا، وأبرز معالم جمالياتها" سواء أكان في اللّغة، أم في المضمون، أم العناصر الفنّية، أم الاستجابة لذهنية المتلقي المتذوقة أو الواعية لهذه الجماليات(...) فالمتلقي الواعي يدرك جيدا أن القصة القصيرة جدا ذات لغة مكثفة تمتلك الصدمة، وتولد الانفعال والدّهشة، والتشبع بشاعرية التوتر الناتجة عن الرؤى والدلالات والموسيقى أيضا..."[15] ومن أمثلة ذلك ما نجده من تكثيف في القصة القصيرة جدا الموسومة (لهفة..ومطر) التي يحكي فيها (عبد القادر سفر الغامدي) قصة عاشقين التقيا بعد زمن طويل من الفراق، ونص القصة كالآتي:"

"ذات ليلة بعد عمر مضى، التقيا على حافة ذكرى

ومطر بلل قلبيهما.

---

[13] - يوسف حطيني، القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، ص28.

[14] - عبد القادر سفر الغامدي، شرفات الذاكرة، مجموعة قصصية، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، لبنان،ط1، 2012، ص55.

[15] - حسين المناصرة، القصة القصيرة جدا، ص 16..

دثار الصمت غطى المكان

افترقا عاشقين:

أحدهما سكن النهار.. والآخر سكنه الليل" [16]

فالتّكثيف اللغوي الموجود في هذه القصة يحمل القارئ على التنبؤ بتفاصيل القصة المتخفية تحت غطاء اللفظ المكثف، كما يوظف القاص أسلوب الومضة أو المشهد السردي التصويري الخاطف بحيث يجعل النّص قصة سردية كاملة ذات مغزى، "فالتكثيف اللّغوي، إذن، عنصر حيوي في بناء القصة القصيرة جدّا من حيث الشكل العام، ولكنه في الوقت نفسه، ربما ينطوي على تشبيهات واستعارات ومجازات وثنائيات ورموز .."[17]

3.2-الاختزال الشديد أو الإيجاز: فمن البديهي أن تبنى القصة القصيرة جدا على عنصر الاختزال الشديد أو الايجاز اللغوي الذي يمنحها عمقا دلاليا "وترميزا وإيحاء، وحذفا إبداعيا، وإيقاعات متعددة في عبارات محدودة...إلى حد أن تصبح اللغة في مجملها استعارة أو مجازا؛ بشرط ألا يخل القصر ببنية القصة القصيرة جدا شبه المتكاملة."[18] ومن أمثلة هذا الاختزال الشديد ما نجده في قصة (هروب) التي نصها:

"نظر إلى المرآة

هربت منه ملامحه البريئة

حاول العودة إلى مرآته، فوجدها قد تشظّت."[19]

3.2-المفارقة:

أكّد عدد من المبدعين وكذلك النّقاد والباحثين أن المفارقة عنصر مهم جدّا في بناء القصة القصيرة جدا، وتعددية التأويل فيها، فصرّح أحدهم بقوله" ونعتقد كثيرا بكون القصة القصيرة جدّا تحتفي بالمفارقة التي تقوم على تناقض المعنى المباشر والمعنى الآخر التأويلي المقصود؛ حيث تعبّر القصة هنا عن أكثر ممّا تريد أن تقوله الكلمات مباشرة، أو كما يعرف عند البلاغة العربية –على سبيل الشهرة - أن يكون المدح في باطنه ذمّا، وأن يكون الذّم في

---

[16] - عبد القادر سفر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص25.

[17] - حسين المناصرة، القصة القصيرة جدا، ص34.

[18] - حسين المناصرة، القصة القصيرة جدا، ص32.

[19] - عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص33.

باطنه مدحا..."[20] ويكاد يكون الاجماع قائما على أهمية المفارقة في القصة القصيرة جدا "بوصفها ركنا لازما غير كاف من أركان البناء؛ لأن افتقاد المفارقة يجعل القصة مجرد حالة سردية، ولأن الاعتماد عليها فحسب يجعل القصة القصيرة جدّا مجرد نكتة."[21]

3- جمالية البناء السردي في شرفات الذاكرة:

تتجلى جمالية البناء السردي في المجموعة القصصية "شرفات الذاكرة" لعبد القادر سفر الغامدي من خلال عناصره المشكّلة له، وأهمها التكثيف اللغوي الذي يثبت وعي الكاتب بشروط كتابة القصة القصيرة جدا، موظفا من خلال ذلك السرد الواقعي الذي يحيلنا مباشرة على أحداث واقعية متنوعة منها ما هو تاريخي، ومنها ما هو ثقافي واقتصادي، ومنها ما هو ذاتي.

فمثلا في قصة "وجع السؤال" يتجلى السرد الواقعي المهيمن رغم التكثيف اللغوي المعمق، لتبدو القصة معروفة لدى القارئ ومفهومة رغم قلّة الكلمات وكثرة التلميح بدل التّصريح" وقف أمام تلاميذه الصغار يفند بطولات صلاح الدين المملوكي. يتحدث .. يأمل أن تعود الأرض المسروقة. فجأة يصفعه أحد الصبية بسؤال ذي حدين: هل يمكن أن تتحرر أرض والملاك عبيد يا أستاذ؟"[22]

إن رغبة العرب والمسلمين في استرجاع القدس وتحريرها، هي رغبة جامحة قابعة في أمانيهم منذ أن فقدوها بعد (صلاح الدين الأيوبي) الذي أصبح رمزا للبطل الوحيد الذي استطاع أن يحقق هذا الحلم، وبالتالي فكل حلم بعده بعيد المنال مادام العرب عبيدا للأخر الغربي وتابعين له، وهكذا استطاع القاص في هذا النّص المختزل جدّا أن يعبر عن وجع هذا الحلم ووجع السؤال مؤكدا قوله" هل يمكن أن تتحرر أرض والملاك عبيد يا أستاذ؟"

ينتقل القاص في هذه المجموعة الشعرية بطريقة مرنة إلى تناول قضايا متنوعة وينتقل من السرد الذاتي إلى سرد الآخر، ومن الخاص إلى العام، ومن المتخيل إلى الواقعي؛ وهذا ما عبّر عنه الناقد (بوشوشة بن جمعة) في إطار تقديمه للمجموعة القصصية ذاتها، بقوله أن الكاتب" يتوق إلى تحقيق المغايرة للسائد السردي من خلال اختراقه، بخلخلة الثابت

---

[20] - حسين المناصرة، القصة القصيرة ، رؤى وجماليات، ص16.
[21] - يوسف حطيني، دراسات في القصة القصيرة جدا، 2014، ص09.
[22] - عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص 105.

من عناصره التكوينية: أسئلة متن، وأنساق خطاب، وأفانين لغة وأسلوب عبر دروب تجريب وآليات بحث تحقق له التّجاوز والاختلاف."[23]

استطاع (الغامدي) في هذه النّصوص القصيرة جدا أن يتناول أنساقا مختلفة، ويعالج قضايا متنوعة، ووظف خلالها شخصيات عديدة ومتنوعة" تهيمن عليها شخصية الأنا السارد/ الشخصية الدّالة على أنا الكاتب، التي تحضر في أكثر من صورة بحكم اضطلاعها بأكثر من وظيفة فهي: الأستاذ والمسرحي والشاعر وجوه دالة على وجه الذّات الكاتبة في تنوع مواهبها وتعدد أنواع نشاطها الفنّي والأدبي والثقافي"[24]

وقد حاول الكاتب أن يربط كل شخصية بأفعالها في المجتمع وما يمكن أن ينتجه من ممارسات ومخالفات، وعلى سبيل التّمثيل يشير في قصة (شعار) إلى مخالفة بعض الشخصيات للقوانين والشعارات التي تحفظها، فعبّر عن ذلك في هذا النّص القصير جدّا الذي يسرده بكثير من الدّقة:

" اليوم يجلس خمسيني خلف طاولة امتحان إكمال الدبلوم العالي...يمر عليه أحد المراقبين مندهشا من محاولته سرقة الإجابة من أحدهم...يقترب منه لتفاجأ بأنه معلمه الذي كان حازما في مراقبته ذات يوم يبتسم المراقب قائلا لمعلمه: أين ذهبت (من غش فليس منا يا أستاذ؟)"[25]

يلعب التّكثيف اللغوي في هذه القصة دورا مهما في خلق جمالية النّص كونه يركز على السرد المركّز والمشهد المصور، كما يعتمد على الحوارية والمفارقة في الوقت نفسه، حيث نجده كثيرا ما يركز اهتمامه على اللّفظ البليغ والعبارة الموجزة المكتنزة للمعاني العميقة في عدد من الجمل شديدة الوضوح والبيان، على نحو ما نقرأ في قصة (سوط وصوت) التي يقول فيها:

"داخل تلك الزنزانة تحدث أشياء فظيعة وأخرى سوداء.

في ركنها المظلم سجّان يلهب ظهر سجينه بسياط الظلم..

ومع كل سوط ترتفع آهة.. تتلوها ابتسامة سخرية مرة...

يسأل السجّان منفعلا: سياطي تثير سخريتك؟

---

[23] - بوشوشة بن جمعة، تقديم شرفات الذاكرة، ص11.

[24] - المرجع نفسه، ص13.

[25] - المرجع نفسه، ص113.

يرد عليه بعد لحظة صمت قاتلة: أشفق على الانسان الذي مات بداخلك، ابتسم لأنّي أراك سجينا وأنا السّجان." [26]

تبين هذه القصة كيف استطاع الكاتب أن يخرج من خطاب التّذويت إلى خطاب الآخر، ومن خلالها يتناول القضايا القومية العربية معبرا عن ألمه وعجزه أمام ما يحدث من حروب ويروح ضحيتها الأبرياء والشرفاء، فكانت قصة (شاهد عيان) شهادة حية عن حجم الدمار الذي حدث في سوريا. وعن طريق التّكثيف اللّغوي، والعمق الدلالي لما وصفه بها، حاول أن يجعل هذا النّص مشهدا معبّرا على شاكلة الومضة التي تضيء لنرى الطريق ثم تختفي على حين غرة، فقد اختزل الألم والحزن والظلام والظلم في مشهد واحد استعجالي ولكنه معبّر وعميق موظفا ضمير الأنا باعتباره شاهدا على كل هذه الأحداث وجزء من هذا الحزن الذي يملأ المكان، كما في قوله:

" وهذه الأرض التي تحتي أشعر بها وقد شاخت كمدا وعلا صوتها مستغيثة أن أنقذوني – يا شرفاء- فسوريا الحزينة ينتهك صوتها كل حين في وضح البياض"[27]

أمّا الاختزال في القصّة القصيرة جدّا فهو شرط مهم جدّا، وإذا لم يتوفر فإنّ النّص يخرج عن إطار ذلك التّوصيف، وقد تم تحديد حجم القصة القصيرة جدّا باختلاف آراء النّقاد فقيل أنّها تتراوح ما بين ست كلمات إلى خمسين كلمة على نحو ما كتب أرنست همنغواي قصته الشهيرة عام 1925، (التي نصّها" للبيع، حذاء لطفل، لم يلبس قط" وقصة "الديناصور" للكاتب الغواتيمالي أوجستو مونتيرسو والتي جاءت بست كلمات أيضا، " حينما استفاق، كان الديناصور، ما يزال هناك" وقصة الكاتب المكسيكي لوي فيليبي لومولي، " هل نسيت سيدي شيئا ما؟ إن شاء ربي"). [28]

وبالوقوف على النّصوص في (شرفات الذاكرة) لعبد القادر الغامدي نجد أن الاختزال فيها ظاهر وفاعل في السرد القصصي عنده، وقد عمل الاختزال في كثير منها على تسليط الضوء على أهمية الحدث المسرود والتّأكيد على الحبكة المعقدة التي تبنى عليها القصة القصيرة جدّا، والواضح في هذه المجموعة القصصية أن أغلب النّصوص لم تتجاوز الحد الأقصى من ناحية الطول، والحديث عن الاختزال الشديد في هذا الإطار مرتبط بالإقرار بالتّكثيف اللّغوي فكلما كان الاختزال شديدا كان التّكثيف عميقا، وهذا ما يظهر في قصة "بطولة "التي جاءت كالآتي:

---

[26] - عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص131.

[27] - المرجع نفسه، ص133.

[28] - هيثم بهنام بردي، القصة القصيرة جدا، الريادة العراقية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ج1، ط1، 2016، ص11.

(كانت ضمن الحضور تشاهد على خشبة المسرح عرضا مسرحيا لنجمها الذي سقط في آخر مشهد من المسرحية صريعا، ومع سقوطه صفق الجمهور طويلا. كانت الوحيدة التي بكته بحرقة لا لشيء إلا لأنه قد سقط من على مسرح قلبها الذي ملأه بأدوار البطولة الوهمية).[29]

وعلى الرغم من اعتماد الكاتب على عنصر الاختزال الشديد والتأكيد عليه في أغلب نصوصه، إلا أنه يعتمد الحوارية الممزوجة بالاقتصاد اللغوي الشديد البائن، وذلك دون أن يتجاوز الحد الأقصى لحجم القصة القصيرة جدا المطلوب، كما هو الحال في قصة (بياض) التي نصها: (تقرأ مجموعته الشعرية الأولى علها تجد ذاتها في إحدى قصائده.

لكنها تفاجأ باسمها في فؤاد الكتاب عنوانا لإحدى القصائد، وصفحة بيضاء تخلو من أي حرف.

- تسأله في ارتباك: أين أنا منك؟

- يرد في ثقة: شاءت الأقدار أن أحبك وأتزوج أختك ذات عمر وأنا الذي قرأت نفسي في عمق عينيك وحمرة الورد الذي طالما علا نبضك. قد تركتها صفحتك بيضاء، فأجمل الحب - سيدتي – هو ذاك الحب الذي عجزنا عن قوله فاستحال إلى بياض.

ثقي سيدتي لو كتبتك ربما أموت، ولا أظنك تريدين لي إلا الحياة.)[30]

إنّ هذا الاقتصاد اللغوي هو ما يزيد من بلاغة هذا النّص والحوارية فيه هي التي توجه السرد نحو عنصر آخر (المفارقة) "التي تعتمد على مبدأ تفريغ الذروة، وخرق المتوقع، ولكنها في الوقت ذاته ليست طرفة، وإذا كانت هذه القصة تضحك المتلقي في بعض الأحيان، فإنّها تسعى إلى تعميق إحساسه بالنّاس والأشياء، ولعلّ إيجاد المفارقة أن يكون أكثر جدوى في التّعبير عن الموضوعات الكبيرة، كالعولمة والانتماء ومواجهة الذات"[31] وهي الموضوعات التي اشتغل عليها الغامدي منذ اقتحامه عالم القصة القصيرة جدّا.

وقد تمكن من صياغة الأسئلة المصيرية الكبرى، إلى جانب موضوعات الذّات والانتماء، خاصة ما تعلّق بالانتماء العربي، ومحاولة مساءلة أسئلة متنه بتوظيف المفارقة تارة والحذف تارة أخرى، ومستعينا ببعض الظواهر الفنية والأسلوبية التي منحت نصوصه بعدا فكريا يتجاوز من خلاله الذّات إلى الآخر، وهو ما يعبر عنه في نص (رسالة طفل عربي) وهي آخر نص يختتم به مجموعته القصصية، يقول:

---

[29] - عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص37.

[30] - المصدر السابق، ص27.

[31] - يوسف حطيني، القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، ص35.

(على مائدة الإفطار الرمضانية يطل طفل مرتجلا رسالته إلى العالم

يلقم الجميع حجر الصمت الذي يحمل العجز:

- في بلادي يا عرب قتل الأب أبناءه التسعة والتسعين

في بلادي لا أعرف النوم .. فأنا دوما خائف من دوي الرصاص

- في بلادي بقروا بطن أمي الحامل .. هتكوا شرف أختي الطفلة

يختفي الطفل خلف الشاشة البائسة وسؤال مرتسم على وجه صغيري: من هذا الطفل المسكين يا أبي؟

أغصّ بالإجابة والدمع ينزف ضاما صغيري إلى حجري وأنا أردد حسبنا الله ونعم الوكيل.)[32]

جاء السرد القصصي في هذا النّص على شكل القصة الومضة التي يحاول من خلالها الكاتب تقديم مشهد تصويري يعتمد على أسلوب اللّقطة التي تختزل حكاية قضية عربية امتدت على مر السنين، وعن طريق التلميح ينفتح التأويل ويتوسع من القضية الفلسطينية التي تمثل قضية الانتماء والتّشبث بالأرض إلى قضية البحث عن الهوية العربية المشتتة في ظلّ التّداعيات الراهنة للعولمة كما هو الحال في نص (شاهد عيان) الذي عبّر من خلاله عن تداعيات الحرب على سوريا الجريحة، وكيف تضيع منّا عروبتنا شيئا فشيئا قائلا(وهذه الأرض التي تحتي أشعر بها وقد شاخت كمدا وعلا صوتها مستغيثة أن أنقذوني- يا شرفاء- فسوريا الحزينة ينتهك صوتها كل حين في وضح البياض).[33]

الملاحظ أنّ القصة القصيرة جدّا بتشكّلها السردي الجديد المعتمد على التكثيف والاختزال الشديد والمفارقة والحكائية، كل ذلك يفتح المجال أمام المتلقي لتعددية القراءة والتأويل وفق مقتضيات الحال الآنية، وانطلاقا من البداية ووصولا إلى القفلة الختامية للنّص تتدخل نظريات القراءة والتأويل في تحديد مصيرها.

ومن أشكال المفارقة الأخرى التي وظفها (الغامدي) نجد المفارقة المبنية على التّضاد بين الهنا والهناك، وبين الحضور والغياب، وبين اللفظ ونفيه وبين الألم والمتعة كما هو الحال في (قصة المراقص والخطوات) التي نصّها:

(من هنا..

---

[32] - عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص135.

[33] - المصدر نفسه، ص133.

من أعلى أعالي الفيحاء تعانقت القمم.. فذابت جغرافية المكان.

لا أدري أرأيت في عينيها، أم في ملامح وجهها، وتضاريس جسدها؟

أم تراني طرتُ إليك على جناح من الوله

لا المكان هو المكان، ولا الزمان هو الزمان.

إحساس غريب يتملكني ..دمعة جريحة تسكنني.

أأنت هنا حاضرة بكل تفاصيل الغياب؟

أم تراك هناك غائبة بكل تفاصيل الحضور؟

أسئلة حيرى.. يزيدها إحساسي حيرة.

أراقصها ..وأحضن طيفك الهارب..

أراقصها.. وأرقص على جراحاتي.

آه.. يا له من مشهد غرائبي ممتع حد الألم

وربما مؤلم حد المتعة..) [34]

وتتكرر المفارقة المبنية على التّضاد بين ال(هنا ..والهناك) في نص كان ذاك عنوانه، ونصه (هنا أمامي أرى بعضهم يرتدي البحر.

هناك بضع زهرات تطهر البحر بنقاء العمر.

وبين الهنا، وهناك.. عجوز تعانق السماء تاركة كل شيء خلفها)[35]

ومن المفارقة أيضا ما بني على تكرار النّمط اللّغوي " إذ تشكّل التّراكيب المتكررة إيقاعا رتيبا، يجهد القاص في أن يألفه القارئ، لا من أجل أن يرسخه في ذهنه مع نهاية القص، بل من أجل أن يكسره، ويقدم لنا نقيضه." [36] على نحو ما نجد في قصة (فاصلة نقطة) التي نصها:

)لحظة مجيئها إلى ما نسميه دنيا .. كانت فاصلة

لحظة ولوجها بوابة المدرسة لأول مرة...كانت فاصلة.

---

[34]- عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص45.

[35]- المصدر نفسه، ص53.

[36]- يوسف حطيني، دراسات في القصة القصيرة جدا، ص94ومابعدها.

لحظة تخرجها من الجامعة...كانت فاصلة..

لحظة ارتدائها الأبيض في ليلة عمرها .. كانت فاصلة

لحظة ما بعد رحيل الشهر الأول من زواجها ...كانت

نقطة ألغت كل الفواصل قبلها)[37]

ومن جماليات البناء السردي عند (الغامدي) في هذه المجموعة القصصية تناوله قضية المرأة في المجتمعات العربية، معالجا بذلك (قضية الطلاق) في نصه (طلقها و ما علم) فجاء النّص مختزلا اختزالا شديدا ومكثفا يحمل أبعاد هذه الظاهرة في المجتمعات العربية، حيث كان سبب طلاقها هو تأخر حملها، فعبّر عن ذلك دون اللّجوء إلى التّفاصيل الدّقيقة ولكنه استعان بلغة مكثفة عميقة تخرق أفق انتظار المتلقي في القفلة الختامية يقول:

(بعد سبع عجاف طلّقها...هكذا سرى الخبر في مفاصل الهواء

طلّقها، ليبحث عن النور مثمرا في جنان غير بساتينها

طلّقها .. وما علم أنها تحمل في أحشائها نور الحياة.) [38]

ولا تخلو القصة القصيرة جدا من أسلوب التناص والترميز الذي يثبت استفادتها من مختلف الأليات السردية والبنائية التي تقوم عليها الرواية وغيرها من النّصوص الإبداعية، ففي النّص الذي أشرنا إليه آنفا نجد استفادته من الاقتباس في قوله (سبع عجاف) بما تحمله من بلاغة دالة على طول مدّة الزواج دون أطفال، ويستفيد كذلك من التناص في قصة (لوحة) التي ضمنها قول لأحلام مستغانمي (كذب الجغرافيون حين قالوا إن القمم لا تلتقي)[39] وفي نص (لقاء مع غريب) الذي يتناص فيه مع بيت الشعر القائل (أعز مكان في الدّنا سرج سابح... وخير جليس في الأنام كتاب.) [40]

ومن معالم البناء السردي كذلك في القصّة القصيرة جدّا؛ توظيف الشخصيات التي تسهم في تنامي السرد القصصي وتوطيد علاقة هذا اللّون الأدبي بباقي الأجناس الأدبية الأخرى كالرواية والمسرحية والقصّة، وقد عمل (الغامدي) في هذه المجموعة القصصية على توظيف شخصيات متنوعة تراوحت بين الأنا/ السارد المهيمنة على أغلب القصص وبين الأخر، والاحتفاء بالأنا /السارد في القصة القصيرة جدّا هو احتفاء" يعمق حضور

---

[37]- عبد القادر الغامدي، شرفات الذاكرة، ص33.

[38]- المصدر نفسه، ص59.

[39]- المصدر نفسه، ص75.

[40]-المصدر نفسه، ص77.

التّذويت في النّسيج الحكائي للقصص، بقصد التّأكيد على قيمتها الأدبية وتنزيلها المنزلة التي هي بها جديرة في واقعه خارج فعل الكتابة ودنيا النّص." [41]

أمّا الشخصيات الأخرى التي وظفها فتراوحت بين الشخصيات التّراثية مثل شخصية الأصمعي في نص "حفلة تكريم"، وشخصيات واقعية كشخصية العمّ سعيد في "حكاية استثنائية" ومنها ما هو مدني كالشاعر والأستاذ والمسرحي وغيرها.

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة أن تقدم أهم ما تعلق بالقصة القصيرة جدا باعتبارها لونا أدبيا جديدا، ومن خلال التطبيق على المجموعة القصصية لعبد القادر سفر الغامدي ، توصّلت الدّراسة إلى جملة من التوصيات التي يمكن أن تسهم في تطور هذا اللون الأدبي وتحقيق الغاية الفنية، والاجتماعية، والفكرية المرجوة من وراء ذلك، وهي كالآتي:

*موضوع القصة القصيرة جدا لا يزال من الموضوعات المحتشمة التي يقل الخوض فيها؛ وعليه نأمل أن تكون هذه الدراسة إضافة في جانبها النظري والتطبيقي لمجمل الدراسات المهتمة بالسرد عموما وبالقصة القصيرة جدا خصوصا.

*أثبتت الدّراسة معرفة العرب بهذا اللون الأدبي مع اختلاف التسمية وحضور الميزات والخصائص، مما يؤكد أسبقية العرب لإنتاج قصص قصيرة جدا في بيئة عربية تقليدية.

*تشترط القصة القصيرة جدا أربعة عناصر عموما حتى يصح توصيفها بأنها قصة قصيرة جدا، ومن هذه الشروط توفر عنصر الحكائية واعتماد اللفظ المكثف ،والالتزام بالاختزال والإيجاز الشديد ،والابتعاد عن التفاصيل الدقيقة، والمفارقة القائمة على التضاد أيا كان نوعه.

*تعد المجموعة القصصية "شرفات الذاكرة" لسفر الغامدي نموذجا جيدا عن القصة القصيرة جدا نظرا لما توافرت فيها من تكثيف واختزال وحكائية ومفارقة.

*أثبتت الدراسة أيضا غياب الدّراسات النّقدية في مجال القصة القصيرة جدّا، مما يجعلنا ندعو إلى ضرورة الالتفات إلى هذا اللون الأدبي ودراسته والاشتغال عليه.

---

[41]- المصدر نفسه، التقديم، ص13.

*تمثل المجموعة القصصية التي تناولتها الدّراسة نموذجا حيا عن مستوى كتابة القصة القصيرة جدّا في الوطن العربي.

*إنّ الخصائص لتي بنيت عليها هذه القصص حققت جمالية فنية في بناء النّص القصصي عند الغامدي، هذا من جهة، وأثبتت قدرتها على التّعبير عن القضايا الذّاتية والاجتماعية، والقومية، والسياسية من جهة أخرى.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
2- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، 2007.
3- أنريكي أندرسون إمبرت، القصة القصيرة النّظرية والتّطبيق. ترجمة علي إبراهيم منوفي ، النسخة الالكترونية.
4- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.
5-رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2 ، 1964.
6-هيثم بهنام بردي، القصة القصيرة جدا، الريادة العراقية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ج1، ط1، 2016.
7- عبد الرحمان مودن، معجم مصطلحات القصة المغربية، منشورات دراسات سال، ط1، 1993.
8- لبابة أمين الهواري، التجريب في القصة القصيرة "حيوانات أيامنا" لمحمد المخزنجي مثالا، مجلة الخطاب، مج17، ع2، جوان2022.
9- حسين المناصرة، القصة القصيرة جدا، رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2015..
10-يوسف حطيني، القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، نسخة إلكترونية مطابقة للأصل.
11-عبد القادر سفر الغامدي، شرفات الذاكرة، مجموعة قصصية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
12- يوسف حطيني، دراسات في القصة القصيرة جدا، 2014، نسخة إلكترونية.